

الإحكام لابن حزم

وقد قال قوم هي السريانية وقال قوم هي اليونانية وقال قوم هي العبرانية .
وقال قوم هي العربية .
وإن أعلم .

إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضر
وربيعة لا لغة حمير لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرش كالذي يحدث من
الأندلسي وإذا رام نغمة أهل القيروان ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي ومن الخراساني
إذا رام نغمته .

ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد أن يقول إنها
لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة .
وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى
على من تأمله .

ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا وهو في البعد عن أصل تلك
الكلمة كلغة أخرى ولا فرق .

فنجدهم يقولون في العنب العينب وفي السوط أسطوط .
وفي ثلاثة دنانير ثلثدا .

وإذا تعرب البربري فأراد أن يقول الشجرة قال السجرة .
وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء فيقول مهمدا إذا أراد أن يقول محمدا .
ومثل هذا كثير .

فمن تدبر العربية والعبرانية السريانية أيقن أن اختلافهما إنما هو من نحو ما ذكرنا من
تبدل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم .
وأنها لغة واحدة في الأصل .

وإذا تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية وللعبرانية معا والمستفيض أن أول من تكلم بهذه
العربية إسماعيل عليه السلام فهي لغة ولده والعبرانية لغة إسحاق ولغة ولده .
والسريانية بلا شك هي لغة إبراهيم صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم بنقل الاستفاضة الموجبة
لصحة العلم .

فالسريانية أصل لهما وقد قال قوم إن اليونانية أبسط اللغات .
ولعل هذا إنما هو الآن فإن اللغة يسقط أكثرها .

ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم
بغيرهم فإنما يقيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم .
وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم
فمضمون منهم موت الخواطر وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم ونسيان أنسابهم وأخبارهم
وبيود علومهم هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل